Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ولقد سلكت التعليل بالاستخفاف والاستثقال فى باب التعليلات التجريبية لأنه لايقوم على أى أساس عقلى ؛ فلا تأويل ولا قياس تمثيلى ولا قياس برهانى ولا نظريات فلسفية ، وإنما يقوم على أساس إحساس فيزيائى ألا وهو أن بعض الكلمات والتراكيب يصعب نطقها بصورة ما فتستبدل هذه الصورة بصورة أخرى أكثر سهولة ، ولايتم هذا الاستبدال تحت إشراف العقل وسيطرته ، بل يتم آليا دون وعى المتكلم .

ولاننكر أن « الإحساس » مقياس ذاتى بحت يتوقف على المتكلم أو اللغوى ، ولذلك فقد يحدث الخلاف حول بعض الكلمات إذا ماكانت قد سلكت سبيل الاستخفاف أم لانتيجة بدائية هذا المقياس . غير أن الذى يهمنا - هنا - ليس مدى دقة المقياس ، وإنما ماهية المنهج الذى اتبع فى هذا المقياس ، أهو منهج عقلى أم تجريبى حسى ؟

إن الذى يفاضل بين ثقلين مستخدما يديه فى المفاضلة ، أو يقارن بين درجتى حرارة سائلين مستخدما اللمس ، إنما يستخدم أسلوبا بدائيا ذاتيا فى القياس والمقارنة يقوم على « الإحساس الذاتى » . غير أنه فى الحقيقة يستخدم منهجا تجريبيا علميا قائما على التجربة والحس لا على العقل والاستنباط ، وإن كانت الوسيلة التى اتبعها بدائية غير دقيقة . ولقد اخترعت أدوات عديدة للقياس بعد ذلك غاية فى الدقة فى شتى الميادين ، لا لتعديل المنهج ، بل لتعديل الوسيلة . فالمقارنة القائمة على «الإحساس» إذن بين نطقين من النطوق من حيث الثقل أو الخفة ، إنما تقوم على أساس منهج تجريبى لامنهج عقلى وإن كان بأسلوب بدائى ؛ ولذلك فإننا رغم قبولنا للمنهج من الناحية المبدئية ، إلا اننا نرى أن القضية - من الناحية الموضوعية - يجب أن يرجأ الحكم فيها إلى أن تتقدم وسائلنا فى القياس الدقيق فيعاد دراسة هذه الظاهرة دراسة دقيقة متأنية ، إذ أن كثيرا من الأصوات التى نعتقد أنها أثقل فى النطق من أصوات أخرى بعينها ، يتضح لنا أن العكس هو الصحيح لو قسنا الطاقة المبذولة فى نطق